الأستاذة: مفيدة عليوط

# المحاضرة الرابعة: الأرسطية والمشائية

## أولا/ الأرسطية

تُعدّ الفلسفة الأرسطية واحدة من أهم المنظومات الفكرية في تاريخ الفلسفة الإنسانية، بل يمكن القول إنها شكّلت الأساس النظري لكثير من العلوم والفلسفات اللاحقة في الشرق والغرب، يعود هذا النسق الفلسفي إلى أرسطو (384–322 ق.م)، تلميذ أفلاطون ومعلّم الإسكندر الأكبر، والذي يُنظر إليه بوصفه أول فيلسوف "موسوعي" حاول بناء معرفة شاملة ومنهجية عن الوجود والإنسان والطبيعة والعقل.

### 1ـ أرسطو كشخصية

وُلد أرسطو في مدينة ستاغيرا في مقدونيا، وكان والده طبيبًا في بلاط الملك، ما جعله قريبًا منذ صغره من الملاحظة العلمية والمنهج التجريبي، التحق بأكاديمية أفلاطون في أثينا وبقي فيها نحو عشرين عامًا، لكنه خالف أستاذه في كثير من القضايا الجوهرية .

بعد وفاة أفلاطون، أسس أرسطو مدرسته الخاصة المعروفة بـ الليسيوم حيث اعتمد أسلوب التدريس القائم على المشي والحوار، ومن هنا جاء اسم الفلاسفة (المشّائين)

## 2ـ المنهج الأرسطي

### أـ العقل والتجربة

خلافًا لأفلاطون الذي أعطى الأولوية للعالم المثالي، رأى أرسطو أن المعرفة تبدأ بالحس ثم تُنظَّم بالعقل وتنتهي بالمفاهيم الكلية أي أن التجربة الحسية هي نقطة البداية، لكنها لا تكفي دون التحليل العقلي

### ب ـ المنطق الأرسطي

أرسطو هو مؤسس علم المنطق الصوري، وقد اعتبره أداة لجميع العلوم و أهم عناصر المنطق الأرسطي هي القياس المنطقي و مثال ذلك :

ـ كل إنسان فانٍ

ـ سقراط إنسان

ـ إذن سقراط فانٍ

إضافة إلى المقولات العشر مثل: الجوهر، الكمية، الكيفية، الزمان، المكان وقد ظل المنطق الأرسطي مهيمنًا على الفكر الفلسفي والعلمي حتى العصر الحديث.

## 3ـ الميتافيزيقا (فلسفة الوجود)

**أـ مفهوم الجوهر:** يرى أرسطو أن الجوهر هو ما يقوم بذاته، وليس بحاجة إلى غيره ليكون موجودًا، مثل: الإنسان، الشجرة، الحيوان

### ب ـ المادة و الصورة

كل موجود يتكوّن من:

*مادة :ما الشيء مصنوع منه

*صورة :ما يجعل الشيء ما هو عليه، مثال: التمثال: مادته الحجر وصورته شكل التمثال.

ج ــ القوة والفعل

من أهم إسهامات أرسطو:

*القوة :إمكانية الشيء

*الفعل :تحقّق هذه الإمكانية

ومثال ذلك أن البذرة تحمل قوة أن تصبح شجرة، والشجرة هي فعل هذه القوة.

## 4ــ العلل الأربع

لفهم أي شيء، يرى أرسطو ضرورة معرفة أربع علل:

أ ـ العلة المادية :مما يتكوّن الشيء

ب ــ العلة الصورية :شكله أو ماهيته

ج ــ العلة الفاعلة :من أحدثه

د ــ العلة الغائية :الغاية أو الهدف منه

وهذه الفكرة أثّرت بعمق في الفكر الإسلامي، خصوصا عند ابن رشد.

## 5ــ الإله عند أرسطو

يؤمن أرسطو بوجود محرّك أول؛ غير متحرك ، غير مادي، عقل محض، هو سبب حركة الكون دون أن يتحرك، هذا التصور الذهني لصفة الإله كان له أثر كبير في الفلسفة الإسلامية والمسيحية، رغم اختلافه عن مفهوم الخلق الديني.

## 6-الأخلاق الأرسطية

السعادة عند أرسطو ليست اللذة، بل هي نشاط النفس و فق الفضيلة؛ و الفضيلة هي الوسط بين رذيلتين و مثال ذلك الشجاعة وسط بين الجبن و التهور

و الكرم وسط بين البخل و الإسراف ، في حين تنقسم الفضائل إلى قسمين؛ فضائل أخلاقية تكتسب بالممارسة و فضائل عقلية تكتسب بالتعلم.

### 7ـ السياسة

يرى أرسطو أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه وأن الدولة تهدف إلى تحقيق الحياة الفاضلة ، وليس مجرد الأمن أو الاقتصاد، و صنف أنظمة الحكم إلى أنظمة صالحة: الملكية، الأرستقراطية، الجمهورية، و أنظمة فاسدة( الطغيان، الأوليغارشية، الديمقراطية المنفلتة)

وقد أثرت الفلسفة الأرسطية في الحضارة الإسلامية و ترجمها العلماء المسلمون حيث شرحها وعلّق عليها الفارابي، ابن سينا، ابن رشد و انسجمت مع علم الكلام والفقه في بعض الجوانب،أما في الغرب فقد أصبحت أساس الفلسفة المدرسية و ظلت مرجعا حتى الثورة العلمية.

## ثانيا/ المشائية

هي اتجاه فلسفي سار أصحابه على فلسفة أرسطو( 348 ق. م- 322 ق. م)، وعرفوا باسم المشائيين، وكان له ملامح محددة أصبحت فيما بعد ركيزة عدة تطورات فلسفية، والمشاء، كثير المشى، والمشائي هو الأرسطى، سمى مشائيا لأن أرسطو كان يعلم تلاميذه ماشيا، والمشائى رمز إلى الممشى أو الرواق الذي كان يلقى أرسطو فيه محاضراته، أو رمز إلى طريقته فى التدريس، وهو يطوف فى الرواق وقد أحاط به تلاميذه.

وأصبحت المشائية بعد ذلك اصطلاحا للفكر الأرسطى ومن شايعه فى التفلسف، سواء من تلقى علّيه علوم الفلّسفة بالمباشرة، أو من تتلمذ علّى كتبه إما بالدراسة فقط أو بالدراسة والشرح والتعليق.

وللمشائية صور متعددة بقدر فهم الشعوب. وبقدر استيعاب الأفراد، فأرسطو عند الرومان غيره عند العرب، ففى الحضارة العربية نرى أرسطو بصورة تختلف عنها فى الحضارة الغربية.

وقد انتقلت فلّسفة أرسطو عبر مدرسة الاسكندرية إلى مدارس إنطاكية والرّها ونصيبين وحران، وسواها من مراكز التعليم التى شغلت بصورة خاصة بترجمة منطق أرسطو من اليونانية والتعليق عليها كجزء من الدراسات اللاهوتية.

وقد سميت هذه المرحلة باسم المرحلة السريانية فى تطور المشائية وكانت تمهيدا للمرحلة العربية الإسلامية التى تجاوزت إطار الدراسات المنطقية الضيق لتناول فلّسفة أرسطو إلى الاهتمام ببقية فروعها الطبيعية والإلهية، والفلّكية، ومثل أرسطو عند العرب الاتجاه العقلى وظهر بدرجات متفاوتة عند فلاسفته.

ولم يحصر فلاسفة العرب فكرهم داخل الإطار الأرسطى فقط، بل أضافوا إليه بعض العناصر من أفلاطون وأفلوطين، وقاموا بالتوفيق والمزج بين عدة آراء وإفرازها فى مركب واحد يحمل ملامح التفكير اليونانى والروح الإسلامية.

وحاولت المشائية الإسلامية إيجاد صيغة مشتركة بين الدين والفلسفة وإن لم تتعادل فى النظر إلى الطرفين، بل كانت رؤيتها إلى الفلسفة أميل، ولجأت إلى التأويل لترسيخ ملامح التوفيق، وكان منطلقها فى ذلك أن النص الدينى يخاطب بظاهره جمهور الناس.

أما الخاصة فينبغى أن يكون لهم تصوراتهم الخاصة مع الإيمان بأن فى النص ثنائية، وأول علم من أعلام المشائية العربية هو أبو إسحاق الكندى (ت 866 م) الذى جمع بين الدين والفلسفة وألف فى جميع أبواب الفلسفة والعلوم. جاء بعده الفارابى (ت 950 م) إمام مناطقة عصره، وأول شارح من شراح أرسطو الكبار فى العربية، أطلق عليه لقب المعلم الثانى خلفا لأرسطو المعلم الأول، وجاء بعده ابن سينا لتكتمل به سلسلة فلاسفة الإسلام فى المشرق المتابعين لأرسطو، ولكن ليس متابعة كاملة، فهم لا يمثلون المشائية الخالصة بل أضافوا إليها مؤثرات أخرى. وقد هاجم الغزالى هذه المشائية المشرقية فى كتابه (تهافت الفلاسفة) وحصر آراءهم فى عشرين مسألة، كفرهم فى ثلاث منها، وكان لهذا الكتاب أثره فى زعزعة الفلسفة فى المشرق.

وانتقلت المشائية من المشرق إلى المغرب وأخذ بها ابن باجة (ت 1138م) وابن رشد (ت 1198م) الذى دافع عن الفلسفة ضد هجمة الغزالى فى كتابه (تهافت

التهافت) إلا أنه لم ينجح بصورة عامة فى دفع التهمة عن المشائية وظلت الفلسفة بعد ذلك من العلوم المكروهة فى بلاد الأندلس.

ويعد ابن رشد وحده الممثل الخالص للفكر المشائى، وأعظم شارحى أرسطو فى العصور الوسطى، إذ هاجم كل انحراف عن فلسفة أرسطو، وهاجم الفارابى وابن سينا فى عدد من الآراء التى نسبوها إلى أرسطو، ورفض كل خروج عن نص أرسطو ارتكبه الآخرون إذ تمسك تمسكا شديدا بآراء أرسطو.

ولابن رشد الفضل الأكبر فى إيضاح نص أرسطو المترجم إلى العربية ووضع تقسيمات وتمييزات بين مفاصل أقوال أرسطو، وهو أمر سيتأثر به فلاسفة العصور الوسطى فى أوروبا وعلى رأسهم ألبرت الكبير، وكانت شروح ابن رشد مصدرا أساسيا لفهم فلسفة أرسطو.

وظل مناطقة عصر النهضة الأوروبية فى القرنين الخامس والسادس عشر حين أرادوا العودة إلى منطق أرسطو فى أصوله ينهلون من النص الأصلى أو الترجمة لكتب أرسطو فى المنطق مستعينين بشروح ابن رشد المختلفة واستمرت المشائية بعد ذلك فى إطار مسيحى لاتينى بلغ أوجه عند القديس توما الأكوينى وبعدها أخذت المشائية فى الانحسار.

## مراجع مساعدة

1ــ عويسان التميمي البصري،موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر، دت

2ــ أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط3، 1972.

3ــ معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، 1988.